مناقشـــات

الدلالة في المجاز والاستعارة

أحمـد محمـد قدور

عرف الدرس اللغوي والبلاغي أنماطاً من دراسة الحقيقة والمجاز ، وقد انتهى كثير من القدماء الى الاقرار بوجود الدلالة الحقيقية ، ومايتفرّع منها من اساليب مجازية . وسوف نقف عند ابرز الأفكار التي وجّهت الدرس المجازي في العربية ، ثم نعرض أهمَّ الآراء التي تناولت المجاز عند الغربيين في اللغة والنقد . وان مانسعى اليه - ههنا - هو تبينّ جوانب الدرس اللغوي في المجاز بوصفه أحد الطرق الرئيسة لنقل المعنى .

ويبدو أن مفهوم المجاز بدأ واسعاً لدى أوائل المفسرين ، واللغويين ودارسي الاعجاز ، فأبو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢٠٧ هـ) يؤلف كتابه « مجاز القرآن » ، ليشمل الاساليب العربية او طرق التعبير عامة ، كالحذف ، والتشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة . . وكان دأبه أن يكشف عن استغلاق بعض النصوص القرآنية على افهام بعض رجال الدولة ، ومنهم من كان أعجمياً لم يتعمّق أسرار العربية في التعبير والنظم .

ومهما يكن من أمر فإن صنع أبي عبيدة يمثّل نقلة منهجية في تناول النص القرآني إذ أخذ البحث يشمل النص من زاوية التركيب والأسلوب ، على حين بدأ تناول الدرس من زاوية شرح الغريب من ألفاظ القرآن .

ويلاحظ أن مفهوم المجاز لدى أبي عبيدة كان يشمل كل مااحتاج الى تفسير ، او كان غامضاً ، او محتملاً للتأويل [١].

ويتخذ البحث لدى الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ) جانباً عقلياً متعمقاً مسائل اللغة ، وأفكاره مبثوثة في آثاره ، وقد سعى بعض المعاصرين الى تتبعها ودراستها ، غير ان مايهمنا - ههنا - هو فهمه لمجال المجاز ، فهو عنده بعيد عن المعاملات في حياة الناس ، لأنّ المعاملات حاجات نفعية مباشرة لاتحتمل اللبس او التأويل والخلاف . ويتنبَّه الجاحظ الى التطور

(١) أبو زيد ، د . نصر حامد ، الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة) دار التنوير ، بيروت ، ط . أولى ، ١٩٨٢م ص ١٥٤ - ١٥٦

اللغـوي عن طريق استخدام الأساليب الكنائية دفعـاً للحـرج [٢] ، وهـو مايعرف في الدراسات الحديثة بالتابو .

وعلى الـرغم من أن المصطلحـات لم تزل متـداخلة عنـد الجـاحظ فإن مفهوم المجاز اصبح أكثـر تحديـداً - لأنـه عدّ المجـاز - المثل والكناية والتشبيـه . . - في مقابل الحقيقة اللغوية ، وقد صرّح بالمصطلحـين أحياناً (الحقيقة والمجاز) في عبارة واحدة [٣] .

وقـد ذهب أحـد الـدارسين المحدثين الى ان « استعـمالـه لكلمتي الحقيقـة والمجـاز في الحيـوان ، يدخـل في استعـمال البـلاغـين المتأخرين ، فقد استعملهما بمعناهما الدقيق »[٤] .

ويرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ ها) أن المجاز ضرورة لغوية لامحيص عنها للمتكلم ، وانه ليس صحيحاً ان المجاز كذب . إذ لو كان كذباً لكان أكثر الكلام فاسداً لأن أكثر كلامنا مجاز نحو بنت البقل ، وطالت الشجرة ، ورخص السعر[٥] .

ويربط ابن قتيبة المجاز بالمواطأة ، ويعيده الى العرف اللغوي[٦] . ويعرض لوظيفة المجاز الفنيـة القائمة على « إغماض بعض المعاني حتى لاتظهـر الا للّقن ، وإظهـار بعضهـا وضـرب الأمثال لِما خفي »[٧] .

ويتخذ البحث اتجاهاً مخصصاً في دراسات الاعجـاز ، فالـرمـاني (علي بن عيسى ت ٣٨٦ هـ) يميّز بين المعنى الأصلي (الحقيقي) والمعنى المجازي ، ويجعل الاستعارة مقابلة التعبير الحقيقي[٨] ، وتشمـل الاستعـارة عنـده التشبيه البليـغ ، والمجـاز المرسـل ، والمجـاز العقـلي .

وتعـريف الحقيقـة عنـده هو « أنهـا أصل الدلالة على المعنى في اللغـة » ويـرى « انـه لابـد لكـل استعارة من حقيقة . . »[٩] .

وإنَّ سعينـا الى اضاءة بعض الأفكار التي توجّه الدرس اللغوي في المجاز يسوِّغ وقوفنا عند بعض القـدمـاء دون أن نتـابـع جوانب الـدرس المتشعبة في الاعجاز والبلاغة .

---

(٢) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، البابي الحلبي بمصر ، . اولى ، ١٩٤٣م ، ٥ / ٢٩٥ .

(٣) الجـاحـظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، دار المعارف بمصر . ت ، ص ١٧٤

(٤) ضيف ، د . شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥م ص ٥٦

(٥) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد احمد صقر ، البابي الحلبي ، القاهرة ، د . ت ، ص ٩٩

(٦) المصدر السابق ، ص ٩٩ ، وأبو زيد ، الاتجاه العقلي في التفسير ص ١٧٠ - ١٧١

(٧) ابن قتيبة ، المصدر السابق ص ٦٢

(٨) الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني) ، تحقيق : محمد خلف الله احمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط ثالثة ١٩٧٦م ص ٨٥ - ٨٦

(٩) المصدر الساق ص ٨٦ - ٨٧

ويبدو في « الخصائص » لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ ها) وضوح المصطلح واتجاه البحث نحو الجانب اللغوي . فالحقيقة عنده هي الكلام الموضوع موضعه اي « ماأقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة . والمجاز : ماكان بضد ذلك »(١٠) .

ويرى أبو الفتح ان المجاز يقع ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، هي : الاتساع والتوكيد ، والتشبيه . ويؤكد في موضع آخر فكرة شيوع المجاز وتحوله الى حقيقة . يقول : « اعلم أن اكثر اللغة مع تأمله مجاز لاحقيقة . . » فابن جني « يهتم بذاك التحول الذي تنتقل فيه المجازات الى الاستعمال العادي فيذهب رواؤها وتعالج القضية بطريقة عقلانية منطقية في جانب منها وتشمل طرفاً مبالغاً فيه مع آخر لايبعد كثيراً . يقول « إن أكثر اللغة مع تأمله مجازلا حقيقة وذلك عامة الأفعال نحو قام زيد وانطلق عمرو . . وجاء الصيف وانهزم الشتاء . وإذا ماتركنا الإيغال الذي قاد ابن جني الى ان يعدّ الأفعال كلها من المجاز ، فإننا ندرك أهمية وقوفه على المجازين « جاء الصيف ، وانهزم الشتاء » وتحولها الى عبارتين مجردتين من قدراتها الاستعارية »(١١) .

ويتصدّى الزمخشري (محمود بن عمرت ٥٣٨ هـ) لتأليف معجمه « أساس البلاغة » الذي يسعى فيه الى افراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح ، جامعاً الاستعمالات المجازية والأمثال السائرة . وأساس البلاغة بهذا الصنيع يقدّم عنصرين من العناصر التي يهتم بها فن القول . وأول هذين العنصرين هو أثر الاستعمال في حياة الكلمة ، وتعيين دلالتها ، وتحديد معناها ، وثاني العنصرين هو شيء عن إيحاء الكلمة ، ووقعها في نفس سامعها . وبهذا فهو لايقف عند الدلالة المعجمية المجرَّدة ، بل يتعدّى ذلك الى إيحاء الكلمة ، وأثرها النفسي ، وماتثيره من أحاسيس ، وماتلفت اليه من آفاق (١٢) .

والزمخشري لم يكن يقصد بالبلاغة معناها الاصطلاحي المعروف ، بل قصد إلى جمْع العبارات البليغة من المجاز بمعناه العام ، وهو كل ماخرج على الحقيقة . دون أن يدخل في تقسيمات البلاغيين . ولهذا فإن المجاز عنده يتسع لكل أسلوب تخرج به الدلالة على اصل وضعها الحقيقي الى كل استعمال ، ويشمل هذا جميع ضروب المجاز البلاغية من استعارة ، ومجاز لغوي ، ومرسل . وعقلي ، ويشمل ايضاً التشبيه ، والكناية ، والمثل السائر .

وقد التبس هذا القصد عند الزمخشري على بعض الدارسين المحدثين الذين رأوا في عمله هذا اضطراباً ، وخروجاً على

---

(١٠) ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط . ثانية ، د . ت ، ٢ / ٤٤٢

(١١) الداية ، د . فايز ، الجوانب الدلالية في نقد الشعر ، دار الملّاح ، دمشق ، ط . أولى ١٩٧٨ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥

(١٢) الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢ ها - ١٩٨٢ م من مقدّمة أمين الخولي ، ص (ح - ط)

الاصطلاحات المستقرّة في علم البلاغة ، « فهو لايفرّق بين الأنواع المجازية المختلفة ، إذ يذكر الكناية تحت المجاز بدون تنبيه » ، و« لايفصل كل نوع من الاستعارة أو المجاز على حدة ، . . . ولايتناول البلاغة بالمعنى الاصطلاحي »[١٣] .

وفي الحق أن الزمخشري لم يكن يقصد الى تأليف كتاب بلاغي يستدعي الحرص منه على المصطلحات المحددة ، إضافة إلى أن الاصطلاح البلاغي لم يكن في عهد الزمخشري مستقراً تمام الاستقرار[١٤] .

والزمخشري - من جانب آخر - حريص على تبينّ الأصل الحقيقي للدلالة وإن بدا غريباً ، لأن مستعملي اللغة ألِفوا استعمال بعض المواد بدلالتها المتطورة ، وتنوسيت تبعاً لذلك الأصول التي انحدرت منها . ومفهوم « الحقيقة » عنده لايتعدى الأصل الأول - بحسب اجتهاده - وهو غالباً مايكون حسياً . اما بقية المعاني المتطورة وإن كانت قديمة وشائعة فهي عنده في باب المجاز .

وقد لقي هذا الجهد الرائد في تحري الدلالة الحقيقية انتقاصاً لدى بعض المحدثين الذين رأوا في عمله قدراً من الإيغال لأن الدلالة الحقيقية عندهم موضع شك « فالقدماء وضعوا حدوداً لمعاني الألفاظ دون النظر إلى استعمال الأفراد لها »[١٥]

ويبدو أنه غاب عن أذهان هؤلاء أن العلماء القدامى استقوا هذه الدلالات من استعمال العرب الأوائل لها ، وانهم لم يألوا جهداً في الاستشهاد لكل معنى بأشعار العرب وأقوالهم .

وثمة اعتراض على تصنيف الدلالات الى حقيقية ومجازية ، لأن هذا التصنيف « يعكس تصوراً استاتيكياً للغة ، وكأن اللغة قد حددت معنى حقيقياً ثابتاً لكل لفظ من الألفاظ إن خرج عنه المعنى كان مجازاً »[١٦] .

وليس المقصود بالأصل الحقيقي للدلالة هو الأصل الأول لوضع اللغة في طور نشأتها »، والأمر - كما يبدو - أقرب منالاً ، فالناظر في أحد المعاجم يجد أنّ أحد المعاني يفهم عن طريق الحقيقة العرفية المستندة الى شيوع الاستعمال في مراحل زمنية قديمة من تاريخ اللغة ، على حين يجد بقيتها مجازات عن هذه الحقيقة . وإما أن يتضح فيها الطابع المجازي في وقتنا هذا ، وإما أن يكون طول استعمالها في مجاز ما قد أحكم الربط بينها ، وبين هذا المجاز حتى ليظنه غير

---

(١٣) نصّار ، د . حسين ، المعجم العربي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط . ثانية ، ١٩٦٨م ، ٢ / ٦٩٥ ، ٧٠٢ ، ٧٠٨

(١٤) الزمخشري ، أساس البلاغة ، مقدمة أمين الخولي ، ص (ز)

(١٥) أنيس ، د . ابراهيم ، دلالة الألفاظ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط . أولى ١٩٥٨م ص ١٢٨ - ١٣٢

(١٦) حجازي ، . محمود فهمي ، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، المكتبة الثقافية رقم ٢٤٩ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٨٥

الخبير به استعمالاً حقيقياً آخر للكلمة[١٧] .

ويمكن ان ننتهي الى تصور يعكس مفهوم المجاز مستخلصاً من مجموع الأفكار السابقة ، وما لحقها من إضاءات . فالواضع يضع اللفظ لمعنىً يجري به الاستعمال ، فتكون دلالته على هذا المعنى من باب الحقيقة ، وهو غالباً مايكون حسياً . ولكن اللغة أضيق في مجالها اللفظي من حقول الأفكار ، والاخيلة ، ومن هنا تصبح المعاني العرفية الحقيقية للألفاظ قاصرة عن الوفاء بمطالب التعبير اللغوي وفي مجال الأفكار المجردة (الذهنية) والصور والظلال بوجه خاص . ولهذا فإن التعبير اللغوي يصبح بحاجة الى جواز الحقيقة العرفية الى استعمال آخر يسمى المجاز[١٨] .

وفي البلاغة العربية يمثل علم « البيان » ذروة علم المعجم أو علم دلالات المفردات وهذا العلم يمكن ان يمثل الجانب النظري من علم المعجم فيبيّن كيف تخرج الكلمة عن معناها الحقيقي الوضعي الى معان أخرى مجازية ، ويستمدّ مادته من تاريخ الاستعمال في اللغة العربية .

وقد عرف في الجانب البلاغي الاصطلاحي نوعان للمجاز : المجاز اللغوي ، وهو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له ، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . وهذه العلاقة قد تكون المشابهة ، فالمجاز عندئذ « يكون من الاستعارة بأنواعها . وقد تكون العلاقة غير المشابهة كالمجاورة والسببية . . فيكون المجاز عندئذ « مجازاً مرسلاً . اما الثاني : فهو المجاز العقلي ، ويكون في إسناد الفعل ، أو ما في معناه إلى غير ماهو له ، ويسمى هذا الاسناد إسناداً مجازياً[١٩] .

وتبقى هذه المعطيات الدرسية مجالاً للبحث اللغوي الذي يغنى ويتطور عندما نطبق عليه معارفنا العصرية ، من غير التفات الى النظرات الضيقة - او المتعسفة - الى البلاغة العربية القديمة .

* * *

وفي الدراسات اللغوية الحديثة أخذ النظر يتجه الى المجاز والاستعارة بوصفهما عنصرين من عناصر التطور الدلالي ، وطرق تحول المعاني . فاستعمال الكلمة بالمعنى الجديد ، يكون في بادىء الأمر عن طريق المجاز ، ولكنه بعد كثرة الاستعمال ، وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة ، وتصبح دلالته على المدلول الجديد دلالة حقيقة لامجازية[٢٠] .

(١٧ - ١٨) حسان ، د . تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط . ثانية ١٩٧٩م ، ص ١٩ ، ٣٩ ، ٤٠

(١٩) البرقوقي ، جلال الدين ، التلخيص في علوم البلاغة ، شرح عبدالرحمن البرقوتي ، المكتبة التجارية بمصر ، ط . ثانية ١٣٥٠ ها - ١٩٣٢م ، ص ٢٣٦ ، ٢٩٢

(٢٠) المبارك ، محمد ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، بيروت ، ط . السابعة ، ١٤٠١ها - ١٩٨١م ، ص ٢٢٠

وقـد ذهب علماء الـدلالة ، وعلى رأسهم « ميشـــال بريـــال » و« دارمستيـتر » إلى أن في المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية والجزئية ، وذي العــلاقــات الأخـرى كالمجـاورة والسببيـة وفي الاستعارة نماذج أساسية لتغير المعاني وتطورها[٢١] .

وفي تصنيفـين لتغير الدلالات ، وتطورها ستـيرن Stern ، وأولمـان Ullmaune نلحـظ مواقع المجـاز والاستعـارة فيهما . ففي تصنيف ستيرن ١٩٣١ م ، نقـــع على « الـنـقــل الارادي غير التصــويـري » أي أن المستعملين لم يهدفـوا الى تحقيق تأثير معين ، أو ابتكار أدبي . ويطلق بيير غير وعلى هذا الـنــوع مصطـلح « الـتـسـميـة المعرفية » Lanamination cognitire . [٢٢]

ومـن الامـثلة على هذا النــوع قولنـا في الفـرنسية عن المطرقة « قدم الغزالة pied de leiche » أو في العـربية « الخرطوم » دلالة على الأنبوب المطاطي المستعمل في ثقل المياه ، فالخرطوم يدل على الألف وأنف الفيــل خاصـة ، ثم استعيـر لذاك الابتكار[٢٣] .

وتتضـح علاقـات المجاز والاستعارة لدى ستـيرن في مصطلح « الاستبـدال » وينتج عن تركيز المتكلم على خصيصة معينة ، أو ملمح من ملامـح الـشـــيء . كأن نقــول « ذاك شراع يتهادى » فنكتفي بالجزء عن الكل[٢٤] .

وفي كتـاب اولمـان « أسس علم الدلالة » يصنف التغيـرات النـاتجة عن أسبـاب لغـويـة الى : ١ - نقـل الاسم للتشـابـه بين المعـاني ، وللمجـاورة بين معنى وآخـر . ٢ - نقـل المعنى للمشـابـهة بين الأسـماء ، أو للمجاورة بين اسم وآخــر . ٣ - تغـيـرات مركبــة من الأسبـــاب الســـابقــة . ونقـــع - هـهنـــا - على أمثلة من العربية ، فكلمة « مكتب » تدل على « طاولة » للكتابة ثم تطورت للدلالة على مجموعة عرف أو إدارة معينة « مكتب الاعلام . . » وهذا نوع من المجـاورة المكـانيـة . وكلمة « ظهر أو عصر ، او عشـاء » تدل على زمن معين ، ثم اطلقت على الصلاة التي تؤدى فيها ، عن طريق المجاورة الزمانية[٢٥] .

وفي جانب آخر ، فقد قاد النظر في المجاز والاسـتـعـــارة الـى الـتـمـيـيـز بين نوعـين من الاستعـارة ، استعـارة لغـويـة (تبـديل لغوي) واستعارة شعرية او جمالية .

وتوصف الاستعارة اللغوية بأنها ذاوية «أو ميتة » لكثرة استعمالها ، أو لأنها تبرز سمة ظاهرة أي « تسميـة معـرفيـة » نحـو : رجل الطاولة ،

---

(٢١) الداية ، د . فايز ، الجوانب الدلالية ، ص ١٩٩ ، ٣٧٥

(٢٢) Guiraud (p) semautigue , que sais je ?,presses unireersitaires de Frauce , 8 editisn, Paris 1965 .p.57

(٢٣) الجوانب الدلالية ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩

(٢٤) الداية ، د . فايز ، الجوانب الدلالية ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، ٣٨٢

وســنــان المشــط ، وأخمص البندقية ، وعنق الـزجـاجـة . وقد ذهب صاحبا نظرية الأدب - وارين وويليك - إلى أن هذه الأمثلة « تطبيقات بالمماثلة من أجزاء في الجسم البشري على أجزاء من أشــيــاء جامــدة ، وعــلى كل فإن هذه الامتــدادات قد تمّ تمثيلهـا في اللغـة ، ولم نعـد نشعـر بها إجمالاً على أنها مجازية ، حتى ولو عن طريق الحســاسيــة الأدبيــة واللغـويـة ، فهي استعارات ذاوية أو بالية او ميتة »(٢٦)

ويـصـف ريـتـشــاردز هذا الـنــوع من الاستعــارة بأنه « مبدأ الوجود الشامل للغة » وهو عنـد « جورج كامبل » نوعٌ يدخل في اختصاص النحـويين . وقد أنكر « فونت » إطلاق مصطلح استعارة على مثل هذا التبديل اللغوي لمواقع الكلمات(٢٧) .

وتوصف الاستعارة الجمالية أو الشعرية بأنها تعطي انطبـاعـاً في منـاخ جديـد ، ومعيـارها هو القصد المتعمد لدى الشاعر لاثارة هزة انفعالية .

وقد سبق أن تنبه الفيلسوف الألماني هيجل Hegel (ت ١٨٣١ م) إلــى ماتــؤول الــيــه الاستعــارة من تحول الى الــدلالـة الحقيقيـة . يقـول : « لكن استعـمال اللفظة يمحو عنها شيئاً فشيئـاً صفتهـا المجازية ، فتغدو الاسم الحقيقي للشيء الـذي ماكـان تعينـه من قبل إلا مجازياً . وبفعل العـادة لايعـود الناس في النهاية يميزون بين الصـورة والمدلول . . ومن السهل التمييز في اللغـات الحيـة بين الاستعارات بحصر المعنى ، والاستعــارات التي غدت من كثـرة الاستعـمال تعابير دارجة ليس فيها من المجاز شيء . »(٢٨) .

ويلح هيغـل على الاستعـارة التي تكـون طريـقــاً الى التطــور الــدلالي من الحسي الى الــذهني (الـروحي بحسب تعبـيره) يقـول : « فكــل لغــة أولاً تنطــوي على عدد كبـير من الاستعارات . وآية ذلك أن اللفظة التي لايكون لها في بادىء الأمـر سوى مدلـول حسي في المقام الأول ، تكتسب على المــدى الطـويـل مدلـولاً روحيـاً ، ففعـل « أدرك » و« عقـل » ، وبـوجه عام جميــع المصطلحــات العلميـة ، كان لها في بادىء الأمر مدلول حسي محض ثم جرى التخلي عنه ، واستبداله رويداً رويداً بمدلول روحي(٢٩)

وممـا تجدر الاشـارة اليـه - ههنـا - هو أن التطـور الـدلالي من الحسي إلى الذهني لايلغي دلالـة الأصـل الحسي ، بل تتعـايش الدلالات معـاً حسيـة ومعنـوية ويبقى للاستعمال فضل في إشاعة أحدها على حساب الآخر في زمن معين .

(٢٦) وارين ، وويليك ، نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي مراجعة د . حسام الخطيب المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ثانية ١٩٨١ م ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٤

(٢٨) هيجل ، الفن الرمزي ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٥٣

(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣

ونلمح – في جانب آخر – مواقع المجاز والاستعارة في التحليل التجزيئي للمعنى ونظرية « المكونات الدلالية semantic componeuts فاللغوي المعاصر غريماس Greimas يقسم المعنى إلى نوعين : – النويات الذرية للمعنى semes nucheaires وهي مرتبطة بالمعجم ، والنويات النصية للمعنى semes contextuelles ، وتتغير تبعاً لموقع الكلمة في النص(٣٠) .

ويشترك اللغوي يوجين نيدا E .A.Nida في هذا التحليل ، ويخصه بواحد من مؤلفاته ، وهو كتاب « التحليل التجزيئي للمعنى(٣١) ، غير أن مايهمنا – ههنا – هو نظرية المكونات الدلالية . وقد بدأت الفكرة بمناقشة الكلمات الدالة على القرابة وبحثها . فكلمة «أب » مثلاً تحمل معنى يمكن ان يردّ الى مكوناته « درجة القرابة ، والنوع ، والجنس ، والجيل . . »

ويقترح نيدا ان نهتمّ بتحليل الكلمات إلى عناصرها الأساسية ، وخاصة عندما نتناول بالتفسير المدلولات المجازية فهي تعتمد على التقاء في عناصر معينة « خصائص مشتركة » بين أطراف المجاز(٣٢) .

والمدلولات المجازية تنتج عن عملية انتقاء عنصر أساسي أو أكثر لمعنى الكلمة وهو مايدعوه نيدا بالمكونات الدلالية ، ومايدعوه غريماس بالنويات الذرية .

« فالتشبيهات الكلامية تبنى عموماً على خصيصة معينة يشخصها أناس في مجتمع كلامي خاص بوصفها تشبيهات سائدة . ففي « الذئب » تكون السمة البارزة : الافتراس خلسة ، وفي « الثعلب » الانسلال ، والحذق ، والمكر . . » (٣٣) .

وتجد فكرة « بلى المجاز » تفسيراً عند نيدا . يقول : إنه إذا أدخل هذا الشيء بشكل دائم في كلمة معينة « المستعارة » لم يعد هناك وجود للمدلول المجازي الفعّال في الاستعارة ، وكل مايبقى هو حصول زيادة في مساحة معنى المصطلح الذي نحن بصدده(٣٤) .

وفي ضوء نظرية « المكونات الدلالية » تفسر الاستعارة – وهي المجاز القائم على المشابهة – بالنظر الى الوحدات أو المكونات الدلالية الصغرى المشتركة بين طرفي الاستعارة وكلما كانت تلك المكونات أكثر عدداً ، وقابلية للاشتراك كانت الاستعارة قريبة المنال .

ويقف جاكبسون R .akaleson عند العلاقة الداخلية القائمة على التشابه ، ويذهب إلى أن النشاط اللغوي قائم على قطبين رئيسين : قطب الاستعارة الذي يعتمد أساساً على عملية التشابه ، وقطب المجاز المرسل الذي يقوم على

---

(٣٠) أ ، ج ، غريماس « البنية الدلالية » مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، عدد ١٨ / ١٩ ، شباط / آذار ١٩٨٢ من ص ٩٧ – ١٠١ ، ١٩٨

(٣١)السيد محمد ، د . صبري ابراهيم ، مجلة الفيصل ، الرياض ، عدد ، ٣٤ ، آذار ١٩٨٠م ، السنة الثالثة ، ص ٨٣ – ٩٠

(٣٢ ، ٣٣) الداية ، د . فايز ، الجوانب الدلالية ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣٨٥

عملية التجاوز . وقد طوّر لوغوران M.leguren هذه الفكرة في كتابه « دلالة الاستعارة والمجاز المرسل » وكان لكتابه هذا صدىً كبير في علم المجاز[٣٥] .

ويحلل جاكبسون العلاقات التي تتناول العناصر دون غيرها ، والتي تشمل العلاقات الدلالية . « فتشبيه الشجاع بالأسد ، والأبله بالحمار ، أو اعتبار الحب ناراً ، والرجل السياسي ثعلباً ، إنما هو من قبيل التشابه بين مكونات المفردات اللغوية ، فالحقل الدلالي للأسد

يحتوي على الوحدة المعنوية الصغرى « شجاعة » والحقل الدلالي للحمار على « بلاهة » ، والنار على صفة « كاوية » والثعلب على « مكر . . »[٣٦]

ويضم أحد الدارسين المحدثين هذه الفكرة الى مشكلات التحليل اللغوي للكلمة ، وهي ترتبط باختلاف استعمالات الكلمة بين الحقيقة والمجاز ، ويضرب على ذلك مثلاً هو كلمة « أم » ، « ففي قوله تعالى : (لتنذر أم القرى) ، يدور المجاز على فارق السن ، لأن مكة أقدم مما حولها من القرى . وفي عبارة : الخمر أم الكبائر ، يدور المجاز على الولادة لأن الكبائر تتولد من معاقرة الخمر . »[٣٧] ويربط الفكرة بشيوع المجاز يقول : « إن اختيار أحد مكونات المعنى لانشاء المجاز يجعل المرء بعد طول استعمال - ينسى ماعداه ، فكأنه غير قائم ، فإذا جعلت زيدا أسداً كان اختيار المعنى القائم على الشجاعة ، وتختفي عندئذ بقية المكونات المعنوية التي تختص بوصف الأسد ، وفصيلته »[٣٨]

وتبرز أهمية الدرس التطبيقي للمجاز في العربية الفصحى المعاصرة لما لهذا الدرس من أثر في موضوع « الخصائص الفنية » للشعر . ومن هنا تبدو الحاجة ماسه الى تكاتف الجهود لانشاء معجم « صوري » يتقرّى الصور المجازية في الآثار الشعرية الحديثة من خلال تطورها التاريخي ، ويميزّ الحديث منها من القديم .

---

(٣٥) بركة ، د . بسام ، « اللغة بين الدراسات النفسية واللسانية » مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، عدد ٢٣ كانون الأول ١٩٨٢ ، كانون الثاني ١٩٨٣م ، ص ٥١

(٣٦) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٣٧ ، ٣٨) حسان ، د . تمام « التحليل اللغوي للأدب » مجلة الحصاد ، جامعة الكويت ، العدد الأول ، السنة الأولى تموز ١٩٨١م ، ص ١٧